مواهبُ الغيُوبُ

فِي مَنَاقِبِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ الْمِيرْغَنِيّ الْمَحْجُوب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَنَفَعَنَا بِهِ آمِينَ

تَأْلِيفُ

تَاجِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّد سِرَاجْ

تَلِيهَا تَرْجَمَةٌ لِلسَّيِّد الْمَحْجُوبِ بِخَطِّ ابْنِهِ

السَّيِّد مُحَمَّد يَاسِينْ المِيرْغَنِيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِهِ الْإِعَانَةُ بَدْءًا وَخَتْمًا

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذَاتًا وَوَصْفًا وَاسْمًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْرَقَتْ شُمُوسُ ذَاتِهِ ۞ عَلَى بُدُورِ صِفَاتِهِ ۞ فَأَضَاءَتْ لِلْعَارِفِينَ ۞ وَتَجَلَّتْ مَحَاسِنُ شُؤُونِهِ ۞ فِي ظُهُورِ بُطُونِهِ ۞ فَأَنَارَتْ لِلسَّابِقِينَ ۞ وَتَنَوَّعَتْ تَجَلِّيَّاتُ أَفْعَالِهِ ۞ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِ مَظَاهِرِ كَمَالِهِ ۞ فَمُيِّزَتْ بَيْنَ الْعَالَمِينَ ۞ فَمِنْ هُنَا ظَهَرَ الِاخْتِصَاصُ ۞ وَتَفَاوَتَ الْخَصَائِصُ ۞ بَيْنَ ذَوِي الشِّمَالِ وَالْيَمِينِ.

أَحْمَدُهُ أَنْ جَعَلَنَا مِنْ خَوَاصِّ عِبَادِهِ ۞ وَقُدْوَةً نَقْتَدِي بِهِمْ لِسُلُوكِ نَهْجِهِ ۞ فَمِنْهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ۞ وَأَشْكُرُهُ حَيْثُ عَرَّفَنَا بِهِمْ ۞ وَأَسْعَدَنَا بِحُبِّهِمْ ۞ وَأَمَدَّنَا بِمَدَدِهِمُ الْمُعِينِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِكُلِّ كَمَالٍ ۞ الْوَاحِدُ الْأَوَّلُ الْبَاقِي بِلَا زَوَالٍ ۞ الْمَشْهُودُ لِكُلٍّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْنَانِيّ ۞ الْمُجْتَبَى

مِنْ هَذَا النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ ۞ الْمُرْسَلُ إِلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ ۞ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَمْجَادِ ۞ وَأَصْحَابِهِ الْقُدْوَةِ إِلَى الرَّشَادِ ۞ وَأَتْبَاعِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ فَقَدْ دَعَانِي أَمْرٌ مُطَاعٌ ۞ يَجِبُ عَلَيَّ فِيهِ الِاتِّبَاعُ ۞ أَنْ أُعَلِّقَ كَلِمَاتٍ فِي بَعْضِ شُؤُونِ الْأُسْتَاذِ الشَّهِيرِ ۞ وَالْوَلِيِّ الْمَلَاذِ الْخَطِيرِ ۞ كَامِلِ التَّصَرُّفِ بِالْإِذْنِ الْإِلَهِيِّ ۞ وَالْمَدَدِ الْهَنِيِّ النَّبَوِيِّ ۞ ثَابِتِ الْقَدَمِ فِي عُبُودِيَّتِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ السَّوِيِّ ۞ طَلْسَمِ الطَّلَاسِمِ وَالْكُنُوزِ ۞ وَحَلِّ مَعْنَى الْأَشَائِرِ وَالرُّمُوزِ ۞ الْحَرْفِ الَّذِي لَا يُقْرَى ۞ وَالْوَقْفِ الَّذِي لَا يُدْرَى ۞ السَّابِقِ فِي مَيْدَانِ الْفُرْسَانِ ۞ وَالصَّاعِدِ بِسِرِّهِ فَوْقَ الْعَنَانِ ۞ لَا جَرَمَ إِذْ كُلُّ شَيْءٍ بِحَسَبِ تَعَلُّقِهِ ۞ وَتَخَلُّقِهِ وَتَحَقُّقِهِ ۞ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِعَظِيمٍ فَهُوَ الْعَظِيمُ ۞ وَمَنْ تَحَقَّقَ بِهِ فَذَاكَ هُوَ النَّدِيمُ ۞ لِتُتْلَى فِي سَاعَاتِ حُلْوِهِ الزَّاهِرِ ۞ وَتَسْتَنِيرَ بِهَا السَّرَائِرُ ۞ وَتَتَنَزَّلَ عِنْدَ ذِكْرِهَا الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ ۞ وَتَخُصَّ مَنْ حَضَرَهَا بَرَكَةُ الْكَلِمَةِ التَّامَّةِ ۞ فَأَمْتَثَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ ۞ فَإِذَا لَا

سَاحِلَ لِهَذَا الْبَحْرِ ۞ فَتَحَيَّرْتُ حَيْرَةَ مَـنْ عَـرَفَ ۞ وَأَنْكَـرْتُ نَكِرَةَ مَنْ تَعَرَّفَ ۞ لِضَعْفِ الاِسْتِعْدَادِ ۞ وَقِلَّةِ الْمُرَادِ ۞ فَتَحَتَّمَ الْأَمْرُ بِمَا تَيَسَّرَ ۞ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ ۞ فَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ ۞ وَوَفَّقَ الْمَنَّانُ ۞ سَأَجْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَفْصِيلَ مَا أُجْمِـلَ فِـي هَذِهِ الْـكَلِمَاتِ ۞ وَتَوْضِيحَ دَلِيلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الزِّيَادَاتِ ۞ فِي مُؤَلَّفٍ أَنِيقٍ عَلَى تَرْتِيبٍ وَثِيقٍ ۞ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

اللَّهُمَّ انْشُرْ نَفَحَاتَ الرِّضْوَانِ عَلَيْهِ وَأَمُدَّنَا بِالْأَسْرَارِ الَّتِي أَوْدَعتَهَا لَدَيْهِ

فَأَقُولُ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ ۞ مُسْتَمِدًّا بِفَيْضِ رَسُولِ اللَّهِ ۞ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجَّدَ وَكَـرَّمَ ۞ جَعَلْـتُ فِـي هَـذِهِ الْمَنَاقِـبِ مُقَدَّمَةٌ وَفَصْلٌ وَخَاتِمَهُ.

الْمُقَدَّمَةُ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُتَعَطِّشُ لِحُبِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ۞ الرَّاغِبُ الطَّالِـبُ لَهُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ۞ أَنَّ خَصَائِصَ اللَّهِ لَا تُعَدُّ ۞ وَمَوَاهِبَهُ لَا يُحِيطُ بِهَا حَدٌّ ۞ وَلَا تَتَعَلَّلُ بِزَمَنٍ دُونَ زَمَنٍ ۞ وَلَا تَتَوَقَّفُ عَلَى زَمَنٍ وَلَا حُسْنٍ ۞ بَلْ مَنْ مُنِحَ بِهَا فَهُوَ الْحَسَـنُ ۞ اللَّائِـقُ بِـهِ كُـلُّ مُسْتَحْسَنٍ ۞ وَلَوْ كَانَـتِ الْمَوَاهِـبُ فِـي زَمَـانٍ دُونَ زَمَـانٍ ۞ لَوَجَبَ تَعَطُّلُ مَظَاهِرِ الرَّحْمَنِ ۞ وَذَلِكَ وَصْفُ الْعَدَمِ ۞ وَمَـنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَدَمٌ ۞ بَلْ لَمْ يَزَلْ تَعَالَى مُتَجَلِّيًّا بِمَظَاهِرِهِ ۞ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ سَـرَائِرِهِ ۞ بِحَسَـبِ اخْتِيَـارِهِ وَمُـرَادِهِ ۞ لَا بِحَسَبِ مِيزَانِ الْحَادِثِ مِنْ عِبَادِهِ ۞ وَإِلَّا لَسَاغَ تَحَكُّمُ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى ۞ وَبُطْلَانُ ذَلِكَ مِنَ الْجَلِيِّ أَجْلَـى ۞ {اللَّهُ أَعْلَـمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} ۞ وَيَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَظِيمِ هِبَاتِهِ ۞ فَوَجَبَ احْتِرَامُ مَنْ أُكْرِمَ بِخُصُوصِيَّاتِ الْمَوْلَى ۞ وَالتَّأَدُّبُ لَهُ لِأَجْلِ سَيِّدِهِ أَحْرَى وَأَوْلَى ۞ وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْـهِ بِـهِ لِاتِّصَـافِهِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَحْبُوبِ ۞ {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَـعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَـا مِـنْ

تَقْوَى الْقُلُوبِ} ۞ فَيَا مَنْ قَلَّدْتَهُ نَفْسَهُ ۞ وَغَلَّه يَوْمهُ وَأَمْسهُ ۞ وَأَشْغَلَهُ غِيَاثهُ وَبَحْثهُ ۞ تَجَرَّدْ عَنْ نَفْسِكَ ۞ وَتَفَرَّدْ عَنْ جِنْسِكَ ۞ وَافْرَحْ لِسُدُسِكَ وَخُمُسِكَ ۞ لِتَفُوزَ بِالدُّخُولِ الْأَنْفَسِ ۞ فِي الْمَقَامِ الْمُقَدَّسِ ۞ وَتَرَى مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ۞ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ۞ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ۞ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ۞ مَقْصُودًا وَضْعهَا لِصَاحِبِ هَذِهِ الْحَضَرَاتِ ۞ تَعَيَّنَ بَيَانُ اسْمِهِ الشَّرِيفِ ۞ وَنَسَبِهِ الْمُنِيفِ ۞ وَمَوْلِدِهِ وَبَلَدِهِ ۞ وَوَطَنِهِ وَمَسْكَنِهِ ۞ وَمَا نَشَأَ عَلَيْهِ ۞ وَوَصَلَ إِلَيْهِ ۞ وَمَا حَبَاهُ تَعَالَى مِنْ إِكْرَامِهِ ۞ وَأَمَدَّهُ جَدُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَزَائِنِ فِخَامِهِ.

أَمَّا اسْمُهُ وَنَسَبُهُ فَهُوَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الصِّدِّيقِيُّ ۞ مَوْلَانَا وَأُسْتَاذُنَا السَّيِّدُ عَبْد اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِلَى آخِرِ النَّسَبِ الْعَظِيمِ ۞ مِنْ آلِ الْمِيرْغَنِيِّ وَاشْتُهِرَ بِالْمَحْجُوبِ ۞ لِاحْتِجَابِهِ وَانْقِطَاعِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ عَوَالِمِ الشَّهَادَةِ وَالْغُيُوبِ ۞ مِنْ عَامِ ١١١٩هـ أَلْفٍ وَمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ وَأَرِّخ بِكَلِمَةِ قُطْب غَزَا.

وَأَمَّا وَطَنُهُ وَمَسْكَنُهُ فَقَدْ تَوَطَّنَ بِالطَّائِفِ وَسَكَنَ بِالسَّلَامَةِ
۞ وَأَمَّا نَشْأَتُهُ فَنَشَأَ عَلَى حَمِيدِ الْخِصَالِ ۞ وَتَرَبَّى عَلَى جَمِيلِ
الْخِلَالِ ۞ وَتَفَقَّهَ عَلَى فُحُولِ الرِّجَالِ ۞ وَتَصَوَّفَ عَلَى مَنْ تُشَدُّ
إِلَيْهِ الرِّحَالُ ۞ وَأُيِّدَ بِالْجَذْبِ الرَّبَّانِيِّ ۞ وَالْإِمْدَادِ الْمُحَمَّدِيِّ
الْعَدْنَانِيِّ ۞ حَتَّى فَاقَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ فَاقَ بِهِمْ ۞ وَكَانُوا فِي
حِزْبِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ بِحِزْبِهِمْ ۞ وَدَرَّسَ كَثِيرًا بِالْحَرَمِ الْمَكِّيِّ ۞
سَالِكًا سُلُوكَ النُّعْمَانِيِّ أَبِي حَنِيفَةَ الْمَلَكِيِّ ۞ اخْتَارَهُ اللَّهُ
مُرْشِدًا لِعِبَادِهِ ۞ وَغَوْثًا بِهِ لَهُمْ وَلِبِلَادِهِ ۞ وَظَهَرَ مُعْلِنًا بِذَلِكَ ۞
وَحَرَّكَ مَا كَانَ سَاكِنًا هُنَالِكَ ۞ فَعَبَّقَ عَرْفُهُ الْآفَاقَ ۞ وَعَمَّ
شَذَاهُ سَائِرَ الطِّبَاقِ ۞ وَاتَّسَعَتْ لَهُ الدَّوَائِرُ ۞ وَأَذْعَنَتْ لِمَظْهَرِهِ
الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ ۞ وَأَتَى إِلَى إِمْدَادَاتِهِ الْبُحُورُ الزَّوَاخِرُ ۞
فَحَازُوا مِنْهُ يَتِيمَةَ اللَّآلِيءَ وَجَوَاهِرَ الْجَوَاهِرِ ۞ وَخَوَاصَّ
الْخَوَاصِّ ۞ فَفَازُوا بِسِرِّ مَا فِي الْأَقْفَاصِ ۞ وَعَوَامِّ الْعَوَامِ ۞
فَأَظَلَّهُمْ خِيَارَ الْمَرَامِ ۞ وَمُلُوكَ الْمُلُوكِ ۞ فَأَجَازَهُمْ عَلَى كُلِّ
مَمْلُوكٍ ۞ وَالْمُلُوكِ الْمَجَازِيَّةِ ۞ فَأَسْعَفَهُمْ بِخَيْرِ رُتْبَةٍ عَلِيَّةٍ.

هَذَا وَقَدْ طَمَى بَحْرُهُ فَوْقَ مَا ذُكِرَ ۞ وَاشْتُهِرَ صِيتُهُ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى فَوْقَ مَا اُشْتُهِرَ وَنُشِرَ ۞ كَمَا شَاهَدَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ كِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ عِنْدَ حُمَّاتِهِمْ ۞ وَرُبَّمَا لَمْ يَرْوِهِ سَاعَةً فِي سَاعَاتِهِمْ ۞ وَأَوْصُوا تَلَامِذَتُهُم بِهِ كَثِيرًا ۞ فَأْتُوا إِلَيْهِ وَنَالُوا بِهِ نَعِيمًا كَثِيرًا ۞ وَقَدْ كَانَتْ لَهُ الْيَدُ الطُّولَى ۞ فِي تَحْقِيقِ عُلُوم الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ۞ وَتَحْقِيقُهُ فِيهِمَا فَاقَ تَحْقِيقُ الْأَكَابِرِ ۞ وَتَصَانِيفُهُ تُنْبِيءُ عَنْ هَذَا ۞ وَتآلِيفُهُ أُلِّفَتْ مَا كَانَ جُذاذًا ۞ يَحِقُّ أَنْ يَكُونَ كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا ذَخِيرَةُ الذَّخَائِرِ ۞ وَعُمْدَةُ الْأَكَابِرِ أُولِي الْبَصَائِرِ ۞ بَلَغَ قَرِيبُ الثَّمَانِينَ ۞ وَوَاحِدُهَا يُغْنِي عَنْ مِائَتَيْنِ ۞ شَهِدَتْ بِذَلِكَ فُحُولُ الرِّجَالِ فِي هَذِهِ الْفُنُونِ ۞ وَقَرَّتْ بِهَا مِنْهُمْ الْقُلُوبُ وَالْعُيُونُ ۞ وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الْعَارِفُ الْحَاوِي ۞ الشَّيْخُ عَبْد الْوَهَّابِ الطَّنْدتَاوِي ۞ مُقَرِّظًا عَلَى تَأْلِيفِهِ "كَنْز الْفَوَائِدِ" ۞ فِي شَرْحِ صَرِيحِ الْعَقَائِدِ ۞ فَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا:

لِلَّهِ عَبْـــدُ اللَّهِ أَبْـــدَعَ نَاظِمًـــا دُرًّا نَضِيدًا لَا يُقَاسُ بِهِ الــدُّرَرُ
كَمْ أَلَّفَ الْأَعْلَامُ مِنْ غُرَرٍ تُرَى لِلْعَقْلِ لَكِنْ هَـذِهِ غُـرَر الْغُـرَرِ
مَتْنًا وَشَرْحًا أَشْبَهَهَا شَمْس الضُّحَى لَكِنَّهُمَـا شَـمْس الْبَصِيرَةِ لِلْبَـصَرِ

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا فِي دِيوَانِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُرَاسَلَاتِ فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَعَطِّشُ إِلَيْهَا لِتَنَالَ وَابلاً مِنْ تِلْكَ الرَّشَحَاتِ وَقَدْ أَشَرْتُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْجُمَلِ النَّفِيذَةِ فَقُلْتُ شِعْرًا:

الْفَخْرُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَضْدَادُ وَتَصَاغَرُوا مُـذْ مَـاءَهُمْ إِمْـدَادُ
وَتَحَاقَرَتْ فِيهِ الْأَجِلَّاءُ جَهْدَهُمْ وَتَصَاغَرَتْ عَنْ شَأْوِهِ الْأَنْـدَادُ
وَالنَّاسُ مُشْتَرِكُونَ فِي وَسْمٍ لَهُ مُتَحَيِّـــزُونَ وَكُلُّهُـــمْ رُقَّـــادُ
وَالْوَصْفُ وَالذَّاتُ الْيَقِينُ وَعَيْنُهُ قِسَمٌ لِمَنْ هُمْ فِـي الْعُلَـى أَطْـوَادُ
أَعْنِي الْكِرَامُ الْمُصْطَفِينَ الطَّـاهِرِينَ وَمِـــنْهُمُ الْأَقْطَـــابُ وَالْأَسْـــيَادُ
عَيْنُ الرَّسُولِ وَبَضْعَةٌ مِنْ ذَاتِـهِ السَّابِقُونَ لِذِي الْعُلَى الْأَوْتَـادُ
اللَّاحِقُونَ لِنَيْـلِ خَيْـرِ فَضَـائِلٍ كَسْـبًا وَوَهْبًـا لَـمْ يَـزَلْ يَعْتَـادُ
فَهُمُ الْكُنُوزُ لِكُلِّ رَمْزٍ قَدْ جَلَا عَــنْ كُــلِّ فَائِقَــةٍ بِهِــمْ تَنْقَــادُ
وَهُمُ الرُّمُوزُ لِحِلِّ كُلَّ عَوِيصَـةٍ ذَابَتْ لَهَـا الْأَرْوَاحُ وَالْأَكْبَـادُ

وَهُمُ الْبُحُورُ لِكُلِّ فَيْضٍ قَدْ أَتَى سُفُنُ النَّجَاةِ هُمْ بِهَا الوُرَّادُ
أَضْحَتْ ثِمَارُ الْقُرْبِ مِنْهُمْ تُجْتَنَى وَيَنَالُهَا الصُّلَحَاءُ وَالْعُبَّادُ
وَوِصَالُ عَيْنِ الْحُبِّ فِيهِمْ تُجْتَلى لِلْعَارِفِينَ وَمِنْهُمُ الزُّهَّادُ
وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَنْهُمْ تُبْتَغَى لِلصَّادِقِينَ وَيَقْتَنِي الْقُصَّادُ
وَمَحَاسِنُ الْآدَابِ حَقًّا تُجْتَنَى مِنْهُمْ لِمَنْ هُمْ بِالْبَهَا أَطْوَادُ
وَلَكَمْ بِهِمْ مِنْ زَيْنِ حُسْنِ مَحَاسِنٍ مَا لَيْسَ يَحْصُرُهُ بِنَا التِّعْدَادُ
أَعْظِمْ بِهِمْ وَبِمَا لَهُمْ وَبِمَا بِهِمْ حِمَاءً حَوَى الْأَبْنَاءُ وَالْأَجْدَادُ
فَصَغِيرُهُمْ عَيْنُ الْكَبِيرِ وَقِلُّهُمْ فَوْقَ الْكَثِيرِ وَكُلُّهُمْ أَشْهَادُ
لَا سِيَّمَا الْفَرْدُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ مَا سَطَّرْتُهُ فِيهِمْ وَإِنْ يَزْدَادُ
السَّيِّدُ السَّنَدُ الشَّرِيفُ وَمَنْ لَهُ الْقَدْرُ الْمُنِيفُ وَمَنْ بِهِ الْإِرْشَادُ
نُونُ الْعُيُونِ وَعَيْنُ كُلِّ مَحَاسِنٍ مَعْنَى الْمَجَالِي صَفْوُهَا الْمِيعَادُ
سِرُّ الْمَعَانِي قُطْبُ كُلِّ فَرِيدَةٍ سَادَتْ بِهَا الْعُلَمَاءُ وَالْأَفْرَادُ
رَبُّ الْكَمَالِ وَمُجْتَلَى بِجَمَالِهِ دَارُ الْجَلَالِ وَنُورُهَا الْوَقَّادُ
سَادَ الْجَمِيعُ بِنَيْلِ كُلِّ حَمِيدَةٍ وَبِجَدِّهِ فَاضَتْ لَهُ الْأَمْدَادُ
وَبَدَأَ عَفِيفًا مِيرْغَنِيًّا وَانْتَهَى فَوْقَ الْمَآلِ سَائِرًا حَمَّادُ
لَمْ يَحْظَى مِنْهُ الْعَالِمُونَ بِأَسْرِهِمْ إِلَّا بِذَرَّاتٍ بِهَا الْأَجْوَادُ

مَنْ حَازَ مِنْ ذَرَّاتِـهِ فَلَـهُ الْهَنَـا وَبِهِ الْغِنَى وَالْفَـوْزُ وَالْإِسْـعَادُ
يَا مُنْكِرًا شَمْسَ النَّهَارِ ظَهِيـرَةً أَعْمَـاكَ رَبِّـي فَاتَـكَ الْإِفْـرَادُ
حَقِّقْ تَرَى مَا قُلْتُهُ عَنْ بَعْضِ مَـا لِلْبَحْـرِ لَا تَرْمِـي بِـكَ النُّقَّـادُ
وَإِذَا أَرَدْتَ مَوَاهِبًـا وَمَطَالِبًـا فَاعْمِدْ ضَرِيحًا فَيْضُـهُ الْآبَـادُ
بُرْهَانُـهُ أَعْظِـمْ بِـهِ رِيبَانُـهُ بَـيْنَ الْخَلَائِـقِ زَاهِـرًا وَرَّادُ
دَامَ الرِّضَاءُ عَلَيْهِ مِنْ مَوْلَى الْمَـلَإِ مَـا فَاحَـتِ الْأَغْـوَارُ وَالْأَنْجَـادُ
وَصَلَاةُ رَبِّي وَالسَّلَامُ عَلَى الَّـذِي سَـادَتْ بِـهِ الْآبَـاءُ وَالْأَحْفَـادُ
وَالْآلُ وَالصَّحْبُ السَّنِيُّ وَتَابِعٌ مَهْمَا تَغَنَّـى الْقَـوْلُ وَالْإِنْشَـادُ
أَوْ مَا بَدَا سِرُّ السَّـرَائِرِ ظَـاهِرًا وَتَرَنَّمَـتْ عُشَّـاقُهُ الْـوُرَّادُ
وَتَفَـرَّدَ الْقَـوَّالُ عَـنْهُمْ قَـائِلًا الْعَجْزُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَضْدَادُ

وَقَدْ تَمَّتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ جُمْلَةِ قَصَائِدِي فِـي مَنَاقِبِـهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ انْتِقَالِهِ وَمَسِيرِ رِحَالِهِ.

وَأَمَّا مَا كَانَ قَبْلَ الِانْتِقَالِ مِنْ نَظْمٍ ۞ فَقَـدْ كَمُـلَ دِيوَانًـا مُنَظَّمًا عَلَى تَرْتِيبِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ۞ سَمَّاه رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ بَعْدَ أَنْ أَمَرَنِي بِجَمْعِهِ وَجُمِعَ ۞ وَوَقَعَ مِنْـهُ أَحْسَـنَ مَوْقِـعٍ ۞

"مُنْيَةُ الْمَطْلُوبِ فِي مَنَاقِبِ السَّيِّدِ الْمَحْجُوبِ" وَهُوَ عِنْدِي إِلَى الْآنَ لَمْ يُبَيَّضْ ۞ وَكَمْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَذْهَبٍ فِيهِ وَمُفَضَّضْ ۞ مِنْ الْمَرْتَبَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّأْنِ ۞ السَّاطِعَةِ الْبُرْهَانِ ۞ وَهِيَ عَلَى حُرُوفِ النُّونِ ۞ مُعَلَّقَةٌ بِالزَّاوِيَةِ ۞ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وَبَرَكَتِهِ وَفُيُوضِهِ الْوَافِيَـةِ ۞ أَعَادَهَـا اللَّهُ عَلَيْنَـا ۞ وَأَوْصَـلَهَا إِلَيْنَـا ۞ وَتَمَّمَهَا لَدَيْنَا ۞ وَعَلَى فُرُوعِنَا وَوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۞ خَتَمَ اللَّهُ لَنَا بِمَحَبَّةِ أَوْلِيَائِهِ بِخَاتِمَةِ الْحُسْنَى ۞ وَحَبَانَا بِبَرَكَتِهِمْ الزِّيَادَةَ فِي الْمَشْهَدِ الْأَسْنَى.

لَعَلَّكَ أَيُّهَا اللَّوْذَعِيُّ الْأَدِيبُ ۞ الْأَخُ الْمُحِـبُّ الْحَبِيـبُ ۞ تَقُولُ قَدْ عَرِفْتَ بَعْضَ هَذَا التَّلْوِيحِ فِي شَأْنِ هَذَا الْأُسْتَاذِ وَنَعْتِهِ الرَّجِيحِ ۞ وَتَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَ طَرَفًا مِنْ وَصْفِ ذَاتِهِ ۞ وَطَرَفًا مِـنْ عَظِيمِ صِفَاتِهِ ۞ وَنَبْذًا مِنْ كَرَامَاتِهِ ۞ وَنَذْرًا مِن انْقِلَابِهِ إِلَى دَارِ حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا وَصْفُهُ فَكَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ مَرْبُوعًـا إِلَـى الْقِصَـرِ أَبْيَضَ مُشَـرَّبًا عَلَى اخْتِلَافِ الْوِرْدِ ۞ مِنْ بَسْطٍ وَأُنْسٍ وَقَبْضٍ

وَفَيْضٍ مُتَوَارِدٍ ۞ مُسْتَدِيرُ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ مُسْتَوِي الْأَعْضَاءِ ۞ ذَا قُوَّةٍ تَامَّةٍ مَعَ انْصِبَابِ مِحَنِ الْكَوْنِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا أَخْلَاقُهُ فَكَانَ لَا يَخْرُجُ مِنْ سُنَنِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِذًا بِالْعَزَائِمِ لِنَفْسِهِ وَمُتَلَطِّفًا بِسِوَاهُ ۞ إِنْ وَعَظَ فَنِعْمَ الْوَاعِظُ اللَّطِيفُ ۞ وَإِنْ تَلَطَّفَ فَلَيْسَ فَوْقَ تَلَطُّفِهِ مُنِيفٍ ۞ وَإِنْ زَجَرَ فَطَّرَ مَرَارَةَ الْأُسُودِ ۞ وَإِنْ تَوَجَّهَ فَكُلُّ مَا يُقَابِلُهُ مَفْقُودٌ ۞ مُتَمَكِّنًا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مَحْوًا وَصَحْوًا ۞ وَمُرًّا وَحُلْوًا.

وَأَمَّا كَرَامَاتُهُ فَكُلُّ شُؤُونِهِ كَرَامَاتٌ ۞ ظَاهِرُهَا عَادَاتٌ ۞ وَبَاطِنُهَا خَرْقُ الْعَادَاتِ ۞ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا تَحَرَّكَ جَمِيعُ الْكَوْنِ ۞ وَإِنْ سَكَنَ سَكَنْ كُلُّ ذِي لَوْنٍ ۞ يَسْلُكُ بِهَا تَارَةً مَسْلَكَ الظُّهُورِ ۞ فَيَقُولُ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ هَذَا الْمَذْكُورِ ۞ فَيَكُونُ مَا أَرَادَ بِالْكَوْنِ ۞ وَيَصْرِفُ عَنْ خَاطِرِهِ فَلَمْ يُسَاعِدْهُ عَوْنٌ.

مِنْهَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يُعَمِّرُ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي هُوَ الْآنَ بِالسَّلَامَةِ ۞ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمُ الْقِبْلَةُ فَلَمْ يَجْتَهِدُوا فِي نَفْسِ الْمِحْرَابِ إِلَى

عَلامَةٍ ۞ فَلَمَّا صَعُبَ عَلَيْهِمْ الْحَالُ ۞ وَطَالَ بِهِمْ الْمَجَالُ ۞ وَتَفَرَّقَ الْمُهَنْدِسُونَ عَلَى خَيْرِ خَاتِمَةٍ ۞ نَادَى كَبِيرُهُمْ وَأَمَرَهُ وَأَوْقَفَهُ تُجَاهَ الْقِبْلَةِ ۞ وَقَالَ لَهُ: أُنْظُرْ فَإِذَا هُوَ يَرَى الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ الْمُبَجَّلَةَ ۞ وَقَالَ لَهُ: ضَعِ الْمِحْرَابَ مِثْلَ هَذَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ ۞ أَنْ يَتَسَلْسَلَ الْخَبَرُ ۞ فَلَمْ يُخْبِرْ بِذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ انْتِقَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا أَجْمَعِينَ بِهِ.

وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يُعَمِّرُ فِي بُيُوتِهِ ۞ الَّتِي كَانَ سَاكِنَهَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ۞ فَاخْتُلِفَ عَلَى الْمُهَنْدِسِينَ مِيزَابُ سَطْحِ الدَّارِ ۞ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مُنْحَرِفًا ۞ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: غَيْرُ ذَلِكَ ۞ وَقَالُوا: مَا يَظْهَرُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ ۞ فَرَفَعَ يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: إِلَهِي سَبِّبِ الْأَسْبَابَ ۞ وَافْتَحْ لَنَا الْبَابَ ۞ وَأَرْسِلِ السَّحَابَ ۞ لِنَرَى الْمِيزَابَ ۞ فَوَاللَّهِ مَا تَمَّ الْكَلَامُ ۞ حَتَّى جَاءَ الْغَمَامُ ۞ وَسَكَبَتْ الْمَطَرُ الْغَزِيرُ الَّذِي رُحِمَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ۞ فَنَاهِيكَ مِنْ كَرَامَةٍ ۞ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَهْلِ الِاسْتِقَامَةِ.

وَأَيْضًا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ ۞ بَعْضُ مُرِيدِيهِ الثِّقَاتِ ۞ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا بَعْدَ الْعَصْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَحْفَلٍ عَظِيمٍ ۞ يَحْوِي كُلَّ ذِي شَأْنٍ فَخِيمٍ ۞ لِأَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَكَابِرُ أَهْلِ زَمَانِهِ ۞ حَيْثُ كَانَ الْفَرْدُ الْقُطْبُ الْمُتَصَرِّفُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَقْتِهِ وَأَوَانِهِ ۞ فَقَالَ لِبَعْضِ الْحَاضِرِينَ: اقْرَأْ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ۞ وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ذَا صَوْتٍ حَسَنٍ جِدًّا ۞ يُقَدَّمُ فِي كُلِّ مَحَارِيبِ السَّبْقِ إِمَامًا ۞ فَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} ۞ فَحَصَلَ لِلْأُسْتَاذِ تَجَلِّيًا عَظِيمًا ۞ حَتَّى صَارَ كُلٌّ مِنَ الْحَاضِرِينَ بِهِ يَهِيمُ فَسَمِعَ كُلٌّ مِنَ الْقَوْمِ الْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَ ۞ وَالْفُرُشَ وَالْعِمْدَانَ وَالْجُدْرَانَ يَقُولُونَ: سَلَامًا سَلَامًا سَلَامًا ۞ وَيُسْمَعُ لِذَلِكَ وَجَلٌ عَظِيمٌ بِصَوْتٍ مُطْرِبٍ رَخِيمٍ ۞ {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

وَكَانَتْ لَهُ كَرَامَةٌ جَلِيلَةٌ شَهِيرَةٌ ۞ وَآيَةٌ وَاضِحَةٌ ظَهِيـرَةٌ ۞ وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ بِالسَّلَامَةِ أَوِ الطَّائِفِ أَتَوْا إِلَيْهِ أَهْلُـهُ ۞ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الدُّعَاءَ بِالشِّفَا لَهُ ۞ وَرَفْعِ ضُـرِّهِ الَّذِي مِنْهُ خَائِفٌ ۞ فَيُعْطِيهِمْ إِمَّا قِطْعَةَ خُبْزٍ أَقَلَّ مِنَ الْقُرْصِ ۞ أَوْ يُعْطِيهِمْ قُرْصًا كَامِلًا ۞ فَكَانَ إِذَا أَعْطَاهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْقُرْصِ عَلِمُوا أَنَّ مَرِيضَهُمْ ذَلِكَ يُشْفَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ۞ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَوْفِي قُرْصَهُ ۞ فَأَجَلُهُ بَاقٍ فَيَسْتَبْشِـرُونَ ۞ وَإِذَا أَعْطَاهُمْ قُرْصًـا كَـامِلًا ۞ عَلِمُوا أَنَّهُ وَفَاءُ أَجَلِهِ فَاسْتَوفَى قُرْصًا فَمِنْهُ يَيْأَسُونَ ۞ وَيَسْأَلُونَ لَهُ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ ۞ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْحِمَامُ.

وَكَمْ لِهَذَا الْعَـارِفِ مِـنْ إِغَاثَـاتٍ وَنَجَـدَاتٍ فِـي الشَّـدَائِدِ وَالْكُرُوبِ ۞ فَمَا نَادَاهُ قَطُّ مَكْرُوبٌ إِلَّا وَنَالَ بِهِ الْمَطْلُوبُ ۞ وَلَا دَعَاهُ مَحْجُوبٌ ۞ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَرَكَتِهِ الْخُطُوبَ ۞ وَقَدْ جُرِّبَ لَقَبُهُ بِيَا مِيرْغَنِيّ فِي الْمُهِمَّـاتِ ۞ فَانْجَلَـتْ فَهُـوَ تِرْيَاقُ الْقُلُوبِ ۞ وَهُوَ وَلِيُّ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ۞ وَهُوَ الْعَارِفُ بِـاللَّهِ

سَيِّدِي الْمَحْجُوبِ ۞ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ مِنْ بَعْضِ شَطَحَاتِهِ فَقَالَ:

أَنَا هَذَا الْأَمِيرُ وَذَا الْغَنِيُّ   وَعَبْدُ اللَّهِ لَقَبُ الْمِيرْغَنِيّ
فَدَعْ قَوْلِي وَدَعْ فِعْلِي وَكُنْ فِي   حَوَاشِي زُمْرَتِي يَا الْأَوْذَعِيُّ
أَنَا مَهْمَا رَضِيتُ رَضَى إِلَهِي   وَمَهْمَا قَدْ غَضِبْتُ فَلَا دَعِي
أَنَا لِلْكَوْنِ وَاحِدُهُ فَرِيدٌ   وَنَقْطَةُ بِائِهِ وْالطَّلْسَمِيّ
وَمَهْمَا إِنْ أَتَاكَ جَلِيلُ خَطْبٍ   فَقُمْ وَانْدَهْ وَقُلْ يَا مِيرْغَنِيُّ
تَجِدُنِي إِنْ يَشَاءَ رَبِّي مُزِيلًا   كُرُوبًا مَا لَهَا إِلَّا الْعَلِيّ
وَلَكِنْ يَا خَطِيبِي قِفْ رُوَيْدًا   وَقَدِّمْ فِي النِّدَا جَدِّي النَّبِيّ
فَإِنِّي لَا وَشَيْءٌ لَا وَبَعْضُ   وَلَكِنْ بِالنَّبِيِّ قَامَ الْوَلِيُّ
عَلَيْهِ صَلَاةُ رَبِّي مَعَ سَلَامٍ   وَآلٍ مَا تَرَقَّى الْمِيرْغَنِيُّ

اللَّهُمَّ انْشُرْ نَفَحَاتَ الرِّضْوَانِ عَلَيْهِ وَأَمُدَّنَا بِالْأَسْرَارِ الَّتِي أَوْدَعتَهَا لَدَيْهِ

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَظْمِهِ وَشَطْحِهِ:

نَحْنُ الْمُلُوكُ أُولِي الْعُلَى وَأُولِي الْمَكَارِمِ والولا
مَنْ جَاءَنَا وَرَامَنَا نَالَ الْمُنَى ثُمَّ اعتلا
مَنْ كَانَ تَحْتَ لِوَائِنَا حاطَت بِه أُطُم الْبَلَا
مَنْ لَاذَ تَحْتَ رِكَابِنَا نَال الْمَآرِب وَانْجَلَا
مَنْ كَانَ صَبًّا مُخْلِصًا فِينَا لَنَا لَقِي الجَلا
مَنْ حَامَ حَوْمَ حِمَائِنَا حَارَت بِه شَمْخ الْبِلَا
مَنْ خَانَ عَهْدَ عُهُودِنَا لَا يَلْتَقِي أَبَدًا عُلَا
فَأَلْقِي القِيَادَ لَنَا وَكُنْ قِنًّا رَقِيقًا لَا وَلَا
وَقِفَنْ عَلَى أَعْتَابِنَا إِنْ رُمْت لِلْعَلْيَا عُلَا

وَقَالَ غَيْرُهُ :

نَحْنُ بِاللَّهِ عِزُّنَا لَا بِجَاهٍ وَمَنْصِبِ
كُلَّ مَنْ رَامَ ذُلَّنَا حَسْبُنَا اللَّهُ وَالنَّبِيّ

وَمِنْ كَلَامِهِ: الْمَحْبُوبُ لَدَى اللَّهِ ۞ لَهُ التَّصَـرُّفُ عَلَى اللَّهِ ۞ تَأَمَّلْ حَدِيثَ وَلَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ ۞ وَكَـانَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ يَقُولُ: إِذَا دَخَلَتْ الْعَيْنُ فِي الْقَافِ ۞ فَقُلْ: يَا خَفِي الْأَلْطَافِ ۞ أَوْ لِحَرْفٍ مِنْ اسْمِهِ عَبْد اللَّهِ عَيْن إِذَا دَخَلَتْ فِي أَوَّلِ حُرُوفِ الْقَبْرِ قَافْ ۞ إِشَارَةً إِلَى مَا حَصَلَ بَعْدَهُ فِي عَـامِ الْقِصَّـةِ مِـنْ الْأَتْعَابِ وَالْمَهَالِكِ ۞ وَتَبْدِيدِ شَمِلِ كُلّ سَالِكٍ وَنَاسِكٍ.

فَقَدْ أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَرِيحًا بِالْأَمْرِ الْمُبْرَمِ ۞ الَّذِي لَا مُحَالَ سَيَقَعُ ۞ وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَتَحْصَلُ الْفِتَنُ وَتُخَرَّبُ هَذِهِ السَّلَامَةُ ۞ حَتَّى بُيُوتُنَا هَذِهِ وَسَـتُنَكَّرُ هَـذِهِ الْأَحْـوَالُ ۞ فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تُعَمِّرُونَ يَا سَيِّدِي وَقَدْ أَطْلَعَكُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ۞ فَقَالَ: هَذَا وَ{ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}.

وَحَفَرَ قَبْرَهُ الشَّـرِيفَ فِي قَيْدِ حَيَاتِهِ ۞ وَيَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ يُقِيلُ فِيهِ وَأَشَارَ بِقُرْبِ وَفَاتِهِ ۞ وَهِيَ عَلَى هَذَا النَّمَطِ لَا يُحِيطُ بِـهِ مُجَلَّدَاتٌ ۞ وَلَا يَطْمَعُ فِي حَصْـرِهَا آتٍ ۞ مَـعَ الْكُشُـوفَاتِ الْغَيْبِيَّةِ وَالْفَرَاسَاتِ الصِّدِّيقِيَّةِ ۞ مَعَ خَوَاصِّ النَّاسِ وَالْمُلُوكِ ۞

وَخِيَارِ النَّاسِ وَالصَّعْلُوكِ ۞ فَسَلْ عَنْهُ كُـلَّ مُحِـبٍّ مُنْصِـفٍ بَصِيرٍ ۞ {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.

وَلَمَّا آنَ انْتِقَالُهُ إِلَى دَارِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْمَكَارِمِ السَّرْمَدِيَّةِ حُبِّبَ إِلَيْهِ الِانْقِطَاعُ ۞ وَخَلْـعُ الْخِـلَاعِ وَالتَّـبَجُّحُ وَاللُّحُـوقُ بِمَقَامَاتِ الْقُرْبِ وَالْمَحَبَّةِ ۞ وَاخْتَارَ إِلَى مَا سِـوَاهَا مِـنْ كُـلِّ نُخْبَةٍ ۞ وَتَحقَّقَ أَنَّ دَائِرَةَ هَذِهِ لَا تَسِـعُهَا الـدَّوَائِرُ ۞ فَأَشْـتَاقَ لِلِانْتِقَالِ لِهَاتِيكَ الْمَحَاضِـرِ ۞ فَنَقَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ لَيْلَةَ الْجُمُعَـةِ ۞ لِثَلَاثَةَ خَلَوْنَ مِنْ عَاشُورَاءَ عَامَ ١١٩٣هـ أَلْـفٍ وَمِائَـةٍ وَثَلَاثَـةَ وَتِسْعِينَ فَأَرَّخَ بَعْضُ الْأَخْيَارِ ۞ بِقَوْلِهِ: الْمِيرْغَنِيُّ قُطْبُ الْوُجُودِ قَدْ انْتَقَلَ ۞ وَدُفِنَ بِزَاوِيَتِهِ صُبْحَهَا وَضَرِيحُهُ بِهَا يُزَارُ ۞ وَعَلَيْهِ بَهَاءٌ ظَاهِرٌ وَأَنْوَارُ ۞ وَبُرْهَانُهُ أَضْوَى مِـنَ الشَّـمْسِ ۞ وَلَـيْسَ خَبَرَ الْيَوْمِ كَخَبَرِ الْأَمْسِ ۞ فَالْآنَ قَدْ صَفَا الرَّيَّـانُ وَطَـابَ ۞ وَتَحَقَّقَتْ الْحَيَاةُ فَمَا غَابَ ۞ وَحَاشَا أَنْ يَكْسِيَ السَّيِّدُ عَبْـدَهُ كِسْوَةَ الْوَهْبِ ۞ فَيُعَارِضُهَا نَقْصٌ أَوْ سَـلْبٌ ۞ كَيْـفَ وَقَوْلُـهُ حَقٌّ ۞ وَوَعْدُهُ أَحَقُّ ۞ {لَهُمُ الْبُشْـرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِـي

الْآخِرَةِ} ۞ وَهَلْ الْبُشْـرَى إِلَّا بِالْأُمُورِ الْعَزِيزَةِ الْفَاخِرَةِ ۞ {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِـنْ رَحْمَـةٍ فَـلَا مُمْسِـكَ لَهَـا} ۞ فَكَيْـفَ بِخَوَاصِّ النَّاسِ وَعُيُونِ الرَّأْسِ ۞ لَا سِيَّمَا الْبَضْعَةُ الشَّـرِيفَةُ ۞ فَمِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ مُنِيفَةٌ ۞ كَيْفَ إِذَا اتَّصَـفَتْ بِنُـورِ الْعِلْـمِ الْأَشْرَفِ ۞ وَوَهْبِ الْفَيْضِ الْأَلْطَـفِ ۞ وَسِـرِّ الِاخْتِصَـاصِ الْأَتْحَفِ ۞ وَدَوَامِ الِانْتِصَاصِ الْأَعْرَفِ ۞ فَـذَلِكَ يَكِـلُّ عَنْـهُ الْبَيَانُ ۞ وَيَخْرَصُ دُونَهُ اللِّسَانُ ۞ وَهُوَ بَحْرٌ يَتَفَجَّـرُ بِالْيَـاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ ۞ وَبَرٌّ يَضِيعُ فِيهِ الْمِكْيَالُ وَالْمِيزَانُ ۞ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِمَحْضِ الْفَضْلِ ۞ وَلَا يُشَـرَّفُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ مُنِحَ لَهُ الْوَصْلُ ۞ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا ذَلِكَ ۞ وَهَبْ لَنَا اللَّهُمَّ هُنَا وَهُنَالِكَ.

وَمِنْ عَقْبِهِ السَّيِّدُ الْأَنْوَرُ ۞ السَّاكِنُ الْأَزْهَرُ الطَّيِّبُ الْأَعْطَرُ ۞ السَّيِّدُ مُحَمَّد أَبِي بَكْرٍ ۞ وَالسَّيِّدُ الْأَلْمَعِيّ الْمَتِـين ۞ أَخِيـهِ رَضَاعًا السَّيِّدُ يَاسِينْ ۞ وَشَـرَائِفُ سِوَاهُمْ ۞ حَمَى اللَّهُ حِمَاهُمْ ۞ وَحَفِظَ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ ۞ بِسِـرِّ حِصْنِهِ الْمَنِيـعِ ۞ وَأَدَامَ بِهِـمْ الْبَرَكَاتَ ۞ وَرَفَعَ لَهُم الدَّرَجَاتَ.

وَبَعْدَ التَّمَامِ ۞ حَصَلَ الْإِلْهَامُ بِتَسْمِيَّتِهَا "مَوَاهِبَ الْغُيُوبِ ۞ فِي مَنَاقِبِ السَّيِّدِ عَبْد اللَّهِ الْمَحْجُوبِ" ۞ لِلْفَقِيـرِ لِرَبِّـهِ تَـاجِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّد سِرَاجْ ۞ عَفَى اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ ۞ وَسَتَرَ عُيُوبَهُ وَوَالِدِيهِ وَالْمُسْلِمِينَ آمِينَ.

اللَّهُمَّ انْشُرْ نَفَحَاتَ الرِّضْوَانِ عَلَيْهِ وَأَمُدَّنَا بِالْأَسْرَارِ الَّتِي أَوْدَعتَهَا لَدَيْهِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْفَعُ إِلَيْكَ كَفَّ الْفَاقَةِ وَالضَّـــرَاعَةِ ۞ مُتَوَسِّـلِينَ إِلَيْكَ بِصَاحِبِ الْوَسِيلَةِ وَالشَّفَاعَةِ ۞ وَبِـآلِ بَيْتِـهِ الْأَطْهَـارِ ۞ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الْأَخْيَارِ ۞ وَبِابْنِ عَمِّ نَبِيِّكَ ذِي الْفُتُوَّةِ وَالْبَأْسِ ۞ حَبْرِ الْأُمَّةِ سَيِّدِنَا عَبْد اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ۞ وَبِمَنْ حَضَـرْنَا لَهُ فِي هَذَا الْمَحْفَلِ السَّنِيِّ ۞ سَيِّدنَا السَّيِّد عَبْد اللَّهِ الْمِيرْغَنِـيّ ۞ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ ۞ وَأَنْ تُعَامِلَنَا بِمَا أَنْتَ لَـهُ أَهْلٌ مِنْ مَحْضِ الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالِامْتِنَانِ ۞ وَأَنْ تُصْلِحَ مِنَّـا الْقُلُوبَ وَالسَّـرَائِرَ ۞ وَأَنْ تُنَوِّرَ أَبْصَارَنَا وَالْبَصَائِرَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِجَاهِ رَسُولِكَ وَأَنْبِيَائِكَ ۞ وَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ۞ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الِاسْتِقَامَةَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَحْـوَالِ ۞ وَأَنْ تَمُـنَّ عَلَيْنَا بِمَا مَنَنْتَ عَلَى خَوَاصِّكَ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَـالِ ۞ يَـا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ ارْحَـمْ تَضَـرُّعَنَا وَآمِـنْ خَوْفَنَـا وَأَصْـلِحْ أَحْوَالَنَـا ۞ وَاجْعَلْ بِطَاعَتِكَ اشْتِغَالَنَا وَإِلَى الْخَيْرَاتِ آمَالَنَا وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ أَعْمَالَنَا ۞ وَاجْعَلْ بِطَاعَتِكَ نَأْتَمَّ وَاخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا ۞ هَذَا ذُلُّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ۞ وَحَالُنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ۞ أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَـا ۞ وَنَهَيْتَنَا فَارْتَكَبْنَا ۞ فَلَا يَسَعُنَا إِلَّا عَفْوُكَ فَاعْفُ عَنَّا يَـا خَيْـرَ مَأْمُولٍ ۞ وَأَكْرَمِ مَسْؤُولٍ ۞ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ۞ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَـا بِـهِ جَنَّتَـكَ ۞ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَـوِّنُ بِـهِ عَلَيْنَـا مَصَـائِبَ الـدُّنْيَا ۞ وَمَتِّعْنَـا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ۞ وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ۞ وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ۞ وَانْصُـرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ۞ وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ۞ وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ۞ وَلَا

مَبْلَغَ عِلْمِنَا ۞ وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا ۞ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ وَاغْرِسْ فِي جَنَانِنَا لِآلِ نَبِيِّكَ فَانِيِينَ الْمَحَبَّةِ ۞ وَاحْشُرْنَا مَعَهُمْ إِذْ قِيلَ: يُحْشَرُ كُلٌّ مَعَ مَنْ أَحَبَّهُ ۞ وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي عُنُقِنَا ظَلَامَةً ۞ وَاجْعَلْهُمْ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۞ وَاجْعَلْ تَجَمُّعَنَا هَذَا تَجَمُّعًا مَرْحُومًا ۞ وَتَفَرُّقَنَا بَعْدَهُ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا ۞ وَبَلِّغْ كُلًّا مِنَ الْحَاضِرِينَ غَايَةَ مُرَادِهِ ۞ وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الْأَجَلِ الْفَوْزَ بِحُسْنِ خَاتِمَةٍ ۞ بِجَاهِ عَظِيمِ الْجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ۞ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ ۞ {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ۞ {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. انْتَهَى.

قَدْ وَقَفَ بِنَا رَكْضُ الْقَلَمِ مِنْ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ الْمُنِيفَةِ ۞ عَلَى يَدِ كَاتِبِهَا أَفْقَرِ الْعَبِيدِ ۞ وَأَحْوَجِهِمْ إِلَى الْوَاحِدِ الْمَجِيدِ ۞ رَقِّ الْخَتْمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عُثْمَانَ ۞ نَجْلِ الْمَرْحُومِ الْقَاضِي الْأَمِين

بْنِ يَس ۞ الْعَبَّاسِيّ نَسَبًا الْمَالِكِيّ مَذْهَبًا الْمِيرْغَنِيُّ طَرِيقَةً تَعْرِيفًا لَا تَشْرِيفًا.

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ نسْخَتِهَا فِي سِتَّةِ عَشَرَ يَوْمٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ صَفر أَحَدِ شُهُورِ عَامِ ١٣٢١هـ أَلْفٍ وَثَلَثُمِائَةٍ وَأَحَدَ وَعِشْرِينَ ۞ خَلَتْ مِنْ هِجْرَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ۞ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ ۞ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ ۞ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ آمِينَ.

ترجمة

السيد عبد اللَّه الميرغني المحجوب

بخط ابنه

السيد محمد ياسين الميرغني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين إمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال عز من قائل: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الذي يبطش بها، ورجله الذي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش»، وقال: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري».

وبعد، فقد ترجى مني من لا يسعني إلا ما يريد، أن أجمع شيئًا من ترجمة حضرة العارف بربه، والنافذ بحسب طاقته عن ذنبه، وهو الذي أسبل الله عليه وراثة العلم الشريف، وحلاه بشرف النسب الظريف، مولانا العلامة السيد عبد الله الميرغني المحجوب الحسيني أبا، الحسني لبعض جداته، والصديقي العمري كذلك، كما قال به:

مَنْ مثلنا يا ناس نحن جدودنا   المُصطفى والصنو والصِّدِّيق
والحسنين الطيبين وصهرنا   عمر وعثمان البقية فِيقُوا

فنسبه من حيث الشرف السيد عبد اللّٰه بن السيد إبراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني بن حسن بن ميرخورد بن حيدر بن حسن بن عبد اللّٰه بن علي بن حسن بن حيدر بن ميرخورد بن حسن بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يحيى بن عيسى بن أبي بكر بن علي بن إسماعيل بن ميرخورد البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علي التقي بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضوان اللّٰه عنهم أجمعين، ابن السيدة فاطمة بنت رسول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما حسبه من حيث العلم له اليد الطولى في علم الظاهر والباطن، حتى كان في زمانه مع شُحنة بالعلماء الأفاضل، إذا قيل مَنْ أفقه مَنْ بالحرمين؟، يُجاب بعبد اللّٰه ميرغني، وكذا كلما سُئل عمَّن برع في فن من الفنون؟، يُجاب بذلك.

وله التصانيف الثمانين، بين كبير وصغير، أكبرها يزيد على عشرين من الكراريس، وبعضها وريقات، وهي: بحر العقائد، وشرحه كنز الفوائد، والمعجم الوجيز في أحاديث الرسول العزيز، وحاشية الموجز العزيز على المعجم الوجيز، وأربعين حديثا في الوصايا، وأربعين حديثا في الزواج، والدر النظيم في توحيد العظيم، والدر

المتلألىء في توحيد المتعالي، ومراقي الوصول إلى معالي الرسول، والجوهر الغالي في التوحيد العالي، والروض الأمثل من المعنى الأول، وجواذب القلوب لذكر علام الغيوب، وزهر الرياحين من رياض الصالحين، والخلوات السمرية والجلوات السحرية، والعقد المنظم على حروف المعجم، وسلالة السلسبيل من مربى الزنجبيل، والسر العجيب في مدح الحبيب، وجامع الأشتات فيما تفرق من الأبيات، والمعنى الأربي على أبيات ابن العربي، والنفحة العنبرية شرح أبيات المعية، والنسمات الأنسية في الأحاديث القدسية، والتيسير في إثبات التدبير، وذات الجنب في معنى الذنب، والحكم الكبرى، والجوهرة النقطة في أن الكون نقطة، وسواد العينين في شرف النسبين، وسليل الخلان، ونقطة نقط التحقيق من بحار مقالة سيدي أبي بكر الصديق، والتحفة المغطاة من الرحمة المعطاة، ولمع برق الألمعية على أبيات المعية، والسهم الداحض في نحر الرافض، والجوهرة اللمعة في فضائل الجمعة، وغاية الفوز والفلاح في أذكار المساء والصباح، والكوكب الثاقب، ورفع الحجاب على الكوكب الثاقب، ومختصر منتهيات السيوطي، والنجادة في الولادة، وإتحاف المجالس بنزهة الجالس، وتدقيق التلوين في تحقيق التكوين، والمنن الكبرى في بعض لا إله إلا اللَّه، وفرائض الدين، والإيضاح في الكلام

على فرائض الدين، وسباعيات الحكم، وكشف الغطا عن رمز أهل الخطا، والمراسلات الميرغنية بين أحباب الغنية، وتنبيه الحق في حين الفرق على "الزم باب ربك"، والنفحات القدسية شرح الصلاة المشيشية، ومنهاج الملوك على معراج السلوك إلى ملك الملوك، شرح الوصية المختوم بها الديوان، والبشائر الحاتمة في أسباب حسن الخاتمة، وعدة الإنابة في بعض أماكن الإجابة، وإتحاف المقتدين بمناقب المجتهدين، والأنفاس القدسية في مناقب الحضرة العباسية، والدرة اليتيمة في بعض مناقب السيدة العظيمة، والفروع الجوهرية للأئمة الأثنى عشرية، والجوهرة الشفافية في بعض مناقب السيدة الصديقية، وتحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، وإتحاف السعداء بمناقب سيد الشهداء، وإتحاف الحلفاء من مناقب الخلفاء، ومشكاة الأنوار في أوصاف المختار، والمقاصد الفخرى في بعض مناقب السيدة خديجة الكبرى، وإيضاح المقصود في تحقيق الشهود، ومشارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار، والفيوض الإلهية في الصلاة على خير البرية، والتحفة الظريفة في الصلاة على الحضرة الشريفة، والسر الأعظم في الصلاة على النبي الأكرم، واللآليء المفردات في أذكار عرفات، والعجالة الدشيشية على الصلاة المشيشية، والصلاة الميرغنية على الصلاة السقافية، وجواهر القلائد

لقانص الفوائد، والسفينة الكبيرة، والسفينة الصغيرة، وحاشية على جمع الفوائد فيض المنان على ابن سليمان، وحاشية على البخاري لم تجرد.

وكان اشتغاله أولا بالفقه الأصول والآلات وبعض العلوم الرياضية، ثم آخر أمره انقطع في التفسير والحديث وبعض من كلام القوم، وكانت قراءته بالنسبة إلى علمه قليلة، بل كان ذلك فيض من الفتاح، قرأ على جملة من أفاضل أهل عصره، منهم عمه السيد أمين ميرغني وكان فقيها متقنا، وعلى الشيخ عبد الكريم الملتاني إمام أهل عصره، وعلى الشيخ العلامة الشيخ شلبي، وعلى العلامة الشيخ عبد الله العفيف أو ابنه عبد السلام، وغيرهم ناس كثير.

وأخذ الطريقة النقشبندية على شيخه العارف بالله المشهور بالكرامات والإمدادات مولانا السيد علي المهدلي، وكذلك أخذ عن العارف بالله المشهور بالكرامات سيدي السيد مشيخ باعبود، وعن الكامل سيدي عمر البار أكبر تلاميذ السيد عبد الله الحداد، وصار له منه اعتناء كثير، حتى كان يقول: ما قصدني أحد بمكة مخلص لله تعالى إلا عبد الله ميرغني، وما رأيت يوم عرفة أحد لم يشوب عبادته بأمر الدنيا إلا عبد الله ميرغني وعبد الله مزهر.

ولما وصل مولانا السيد عمر مكة هيئت له أماكن عديدة، ودعي في جملة أماكن فقال السيد عمر له: يا عبد الله أريد الوصول إلى دارك، فقال له: مرحبا، وهو غير مريد لذلك، وذلك لأنه ما يجد ما يقابل به حضرة السيد، ولا أحقر ما كان مثل القهوة، وكان السيد عمر إذا سار يسير معه الجمع الغفير من الأكابر والأصاغر، لما يشاهدون منه من الاعتناء والكرامات، فلما كان يوم جمعة ذهب إلى المعلا ومعه الجمع ومنهم عبد الله ميرغني، فلما وصل مفرق درب المدعة ودرب العشاشية، توجه إلى العشاشية مع عدم علمه أين يسكن الميرغني، وكان يسكن بسوق الليل، فقال: يا عبد الله نحن واصلون إليك، فسكت وصار له استحياء، حتى وقف السيد عمر ببابه، فطلع إلى أمه التي ربته، فقال لها: هذا السيد عمر وأصحابه قصدونا، وهو خائف منها الخوف الكبير، حيث أتى به وما بالبيت شيء يكرمه به، فقالت له أمه: مرحبا بالسيد ومن معه، فصار له من السرور ما أذهب الكدور، وقدمت له ولمن معهم فطورا في غاية الجمالة، فكان يقول الميرغني: ما هو إلا كرامة للسيد وإلا فلا يتصور وجوده عندنا.

وكان كل كبير وصغير يغبط بمجيء السيد إليه، وكان الحبيب عمر مُوصٍ ذريته من أتى منكم الحجاز فليزر الميرغني، حتى كان ابنه الولي الشهير بالكرامات مولانا السيد حسن يسكن الطائف، لأجل

حبه في الميرغني. وكذا كان كثير من الأكابر يسكنه لذلك منهم تلميذه العلامة الشيخ حسين عبد الشكور، وكان له اليد الطولى في الحقائق والعلوم، لازمه قريبا من خمسين سنة، وواحد الأبدال السيد محمود الكردي المدني، والشيخ عبد اللَّه الشرواني، والسيد محمد جمال الليل.

ولما خرج الحبيب عمر البار من مكة إلى زيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خرج معه الجم الغفير، حتى كانوا من باب العمرة إلى الشيخ محمود كأَنْهُر قطعة واحدة، والميرغني في آخرهم لصغره، فلما ودع الحبيب أخذ بيده وهو في الشقدف فصار للحبيب غطوس وحال، ولم ينتبه إلا بقرب حده، فقال: من هذا؟، مع الشقدف، فقال: عبيدكم عبد اللَّه ميرغني، فدعى له وأخرج له قميصه، فقال: خذ هذا وارجع إلى مكة، فقال له بعض الجمالة: هذا وُلَيْدٌ حَضَرِيّ، ولا يعرف الدرب والطريق، مخوف خليه يصل إلى حده معنا، ونحن نرسله في الغد مع من يوصله، فقال الحبيب عمر، لا بل اذهب إلى مكة، فسمع مقال السيد وذهب فلم يفجأه إلا وصوله بها من غير مشقة.

وكم للسيد من كرامات عظام، وكان ذلك من جملة الاعتناء بالميرغني، وإظهار صدق محبته واعتقاده، وكان ثوب الحبيب عنده، كل من مات من أحبابه يجعل له منه وصلة، ويقول: يَرِقُّ الأمان،

ويؤيد هذا الفعل ما فعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث توفيت بنته السيدة زينب، أخرج لهم إزاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «اشْعَرْنِهَا إِيَّاهُ» أي البسنها إياه من تحت الأكفان على الجيب والشعر.

وكانت ولادة الميرغني عام التسعة عشر بعد الألف والمائة في جمادى، ووفاته عام ثلاثة وتسعين، ثلاثة في شهر محرم الحرام، ليلة الجمعة، فيكون مدة حياته ثلاثة وسبعين سنة وشيء، ولكن في هذه المدة ظهر منه من العلوم والكرامات والاستقامة والخوارق ما يكل عن بيانه البيان.

منها أنه يوم وضعته أمه وضعته توأم مع أخ آخر، فاعتنت بأخيه الآخر ودفعته عنها، وذلك لإظهار سر اعتناء اللَّه به، وأن لا يكون إلا تحت تربية الباري، ولا منة لغير اللَّه عليه، فدفعوه إلى جارة من بيت شمس فأرضعته مع الشريف مساعد بن سعيد ملك مكة المكرمة أياما، ثم أرجعته إلى أهله لكونه بمنزلة اليتم الذي لا أحد يعتني به، وبعد ذلك أخذته خالته الشريفة أخت أمه الشريفة عائشة، لما خافت عليه الهلاك بعد جفوت أمه، فربته هي وخاله أخاها السيد علي ميرغني على لبن شياه واللحوس، وكان حالهم من قبل الرفاه في غاية التعب، فكبر بعون اللَّه حتى بلغ تسع، فختم القرآن، وظهر عليه أثر النجابة، فاشتغل بعلم الظاهر وبلغ فيه غاية البراعة، حتى قارب سنه العشرين،

وكان يقرأ الدروس، ويحضره أعيان زمنه منهم الشيخ يحيى بن صالح والشيخ عبد اللطيف عبد الغفور والشيخ عثمان العطار. فلما قرأ من الدر المختار ظهر له فهم عجيب وحل مسألة فيها بعض الحيل، فقام بعض الناس الحاضرين وفعل بموجب تلك الحيلة، فقال بعد أن صار مُؤَدِّيًا العلم لهذا: فلا أقرأ، فما قرأ بعد ذلك درسًا عامًا.

ثم اشتغل بالتفسير والحديث، حتى كان له مرور على البخاري مرارًا، من جملتها أنه كتب منه نسختين، وأعتنى بمقابلتها واحدة في سبع سنين، وواحدة في خمس سنين، والحصة في تلك من بعد صلاة الحنفي إلى قريب الظهور، مع حضور جملة من النسخ والشروح والحواشي، وكتب علوم الحديث وكتب الفقه والأصول والآلات وغيرها، يحصر هذه الحصة كبار علماء الطائف، ومن كان من علماء مكة والمدينة ومصر والغرب والروم والهند، فكل من كان فيه فضل غالبا لا يتخلف عنها، وذلك رغبة في الأبحاث الدقيقة التي تصدر منه، حتى كتب على طُرَّة النسخة حاشية نفيسة ولم تجرّد، وأرجو الله تجريدهما، كما جُردت الحاشية على جمع الفوائد للشيخ محمد بن سليمان، وكانت تنوف على ثلاثين كراس.

وكان مبتدأ الأمر أمر معاشه في غاية الضيق، حتى كان الغالب يطحن بيده، وماؤه يأتي به على ظهره المدة الطويلة، وكان خاله السيد علي ميرغني مجاز بفعل شيء من الكيمياء من بعض الهنود الأكابر، ولكن يفعل بقدر الضرورة في زمن الضرورة، فيفعل شيئا من الفضة بعد مضي أغلب السنة، بقدر ما يجاوز به باقيها، وكان يعرض على ابن أخته المذكور، فيقول: لا أتعلمها بل ما هو مقسوم من الرزق لا يتخلف. ولما توفي خاله عمد إلى جميع آلتها ودفنها.

وكان له غاية الزهد فيها ومن غيرها، حتى أنه إذا أهديت إليه هدايا الغالب يردها إلا نزر النزر، حتى أن السلطان مصطفى جعل له في كل عام ألف قرش صاع، فأمر تلميذه الشيخ حسين بن عبد الشكور بردها، فلم يردها وطلب من السلطان مصطفى أن يصرفها إلى الفقراء، فصار في خاطره على تلميذه شيء من أجل ذلك.

وكان غالب أحيانه يتأسى بجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مأكله ومشربه وملبسه وقيامه، ويحث على كل ذلك، وكان كثيرا من أوقاته بعد أن يصلي الفجر يشتغل بشيء من قراءة القرآن، ثم يستعمل الطعام، ويجلس إلى قريب الظهر في شيء مما مر، ثم يطلع مع الظهر إلى أهله، وينظر ما فعلوا معينا لهم، ثم ينام قدر نصف ساعة، ثم يقوم يصلي الظهر، ويجلس يكتب مقدار جزء من القرآن، أو كراسة مردومة

بخط في غاية النفاسة، والردم في قدر ساعة إلا ربع أو أنقص، ثم يتعشى وينزل إلى الديوان، فيجيء إلى عنده أعيان أهل المعارف، فتارة يشتغل بشيء من الكتب، ويقرأ بين يديه شيء من القرآن بالأصوات الحسنة، لأنه كان مشغوف بحسن الصوت، فتارة يسكت وتارة يتكلم في بعض معانيه بحسب الفيض الإلهي. وكان يقرأ بين يديه رجل حسن الصوت يقال له الشيخ عبد القادر أمان الله، فلما قرأ: {وعباد الرحمن الذين يمشون}، حصل للسيد حال فقال: {قالوا سلاما}، فنطق بنطقه العريش والعمد والأرض والطير وسائر من حضر غير الإنسان، {قالوا سلاما} بلسان فصيح، فصارت للحاضرين غاية الدهش. وتارة ينشد عنده شيء من الشعر الذي فيه مدح الحبيب أو ذكر الله عز وجل، وتارة يذكر فيه مباسطة الإخوان، ويبحث مع كل إنسان فيما يعنيه، وكانت له حافظة عجيبة في أحوال الناس وأنسابهم، حتى أن كثيرا ممن يجالسه يرى أنه أحفظ بحاله ونسبه من نفسه، ويباسط الصغير والكبير، حتى أن كُلًّا يقول: أنه مُنفرد بحب السيد، ويستمر على ذلك المجلس غالبا إلى الساعة في الثالثة، ثم يصلي العشاء ويطلع ينام إلى بعد نصف الليل الأخير، ثم ينتبه ويصلي شيء قليل مما يسر الله، ثم ينام إلى قريب الفجر فيقوم.

وكان من شأنه أنه لا يدخل عليه إلا بإذنه، وكثيرا ما يرد من يصل إليه، حتى جاءه الشريف سرور وهو بالملك فردّه، ولم ينزعج لعلمه بالخير في ذلك، لأنه أتاه قبل الملك، وقال له أن يحمل اللبن والطين يدخل ولا ينصرف، فدخل وحمل وبشره بالملك، فحصل له، فأرسل له يستنكر من ذلك، فأرسل له الجواب بردع وزجر وتأديب وتسليك، وكان في الشريف سرور غاية نباهة وحذق، حتى أنه لما دخل على السيد أول دخوله، رأى السيد لا يقوم هو ولا من عنده لأحد، ويجلس الداخل من كان في المكان الخالي من المجلس، فقال لبعض الناس: فرضنا السيد ولي وكبير لا يقوم، فكيف حال من بمجلسه يفعل ذلك، والحال فيهم العبد الهندي وغير ذلك، فأجابه بأنه لو أتى عمك الشريف أحمد لم يقم، فقال الشريف سرور: إذا أتى عمي فلا بد أن يقوم السيد، فلما وصل الشريف أحمد لم يقم لا هو ولا من كان بالمجلس، بل الحال على حاله، حتى كان بعض عبيدهم بالمجلس ولم يتحرك، ثم رأى السيد يزجر عمه وينصحه، والشريف أحمد يبكي ويقول: أرجو العفو والرجوع إلى مكة، وما قام عن المجلس حتى قال له: تعود إليها، لأنه أخرجه محمد أبو الدهب عام أربعة وثمانية وولى غيره، أتاه بجردة من مصر لأخراجه، فعاد بعد ذلك.

ولما بلغ السيد المذكور خمسًا وعشرين سنة تزوّج، ولم تصلح ففارقها، وأخذ بعض الجواري فلم يصلحوا، كان كثير الاعتكاف بحراء، ثم تزوّج الشيخة الشيخة مباركة بنت الشيخ عبد الله القطان شارح "جمع الفوائد"، بإشارة شيخه السيد علي، وكان الشيخ عبد الله من أهل الله الصالحين، حتى أنه لما خطبها منه قال له: اشرط عليك من بيتي إلى بيتك، ومن بيتك إلى قبرها، فكان الأمر كذلك، حتى دفنت عليه بالطائف بعد وفاته بخمس وعشرين سنة، عام سبعة عشر بعد الألف والمائتين، عام أخذ الوهابية الطائف، وكانت من أعظم الصالحات، فكان صابرة شاكرة، حتى كان إذا دخل عليها أحد تضع ماء في القدر، لأجل أن يظن أن ذلك طعام، وما تريد إلا أظهار العفة والغنى والراحة، فكان يقول السيد: مُبَارَكَةُ أعانتنا على أمر ديننا ودنيانا. وكان السيد محمد الجيلاني السباعي يعتقد فيها ويرسل إليها ببعض كلام، وتعيد إليه جوابه، ولم يفهمه غيرهما.

وأبناؤه كلهم أربعة وعشرين منها، كبر منهم تسع، وعاشوا بعد موته سبعة إناث، فاطمة وماتت بالمدينة، وأم كلثوم ورقية وماتتا بالطائف وقبرتا بزاويته بالسلامة، وزينب وعائشة وخديجة وقبرن بالمعلا، وابنان محمد أبي بكر وقبره بالمعلا وخلف ابنين وبنتين،

ومحمد ياسين وهو الآن باقي مع أصغر بناته مريم، يرجو الدفن بطيبة، ولم يخلف البنات أحد.

وكان أول إقامته بمكة إلى عام خمس وأربعين، صار يتردد بين الطائف ومكة، ثم قطن به من عام الخمسين، وكان يتردد إلى مكة في زمن الحج. وفي عام ثلاثة وستين عزم على التوجه إلى المدينة والجلوس بها، حتى قطع تعلقاته من الطائف إلا داره لم يتصرف فيها، وذهب إلى المدينة المنورة، ونزل بالعرضية في المناخة بمكان للسيد مولاي محمد، وذهب إلى زيارة الحبيب، بعد أن صلى بالروضة مما يلي السيدة فاطمة، ثم أتى من قبل أقدامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد مدة ذهب إلى زيارة أهل البقيع، فلما وقف على قبر سيدي العباس رضي اللَّه عنهُ، قال: أمرني بالذهاب إلى ابنه، فتوجه إلى الطائف في حاله ذلك، وجلس في داره التي في السلامة بجنب جبل السكارى، ويقول في شأن نفسه: خبل في جبل، إلى ثلاثة وتسعين سنة، نحو ثلاثين عام، ولم يخرج من باب الزقاق إلا مرة واحدة، أتت أمه من مكة لزيارة الحبر، وكانت كسلانة فذهب إلى زيارتها، ولهذا سمي بالمحجوب وشهر به.

وكان يصلي الجمعة بجنب مسجده الذي دفن به، بعد أن هيأ قبره به مدة طويلة، والجماعة في ديوانه غالبا، حتى أنه شاع في الديار

البعيدة عدم خروجه، وأن السيد تارك للجمعة والجماعة، فجاء رجل من كبار علماء المغرب، يقال له الشيخ شعيب، كان يحضر درسه أزيد من خمسمائة مدرس، فلما دخل على السيد فأجابه: بكم أعذار الجمعة عند الإمام مالك، فذكر له جملة، فقال له السيد: أما ذكر فلان كذا من الأعذار، أما ذكر فلان كذا من الأعذار، وبين له جملة كثيرة، وكذلك من كل مذهب، وقال له: لو حملت أخاك على بعض الأعذار ما كان أريح لك من سفرك من المغرب لهذا، فطاح على أقدام السيد وأعتذر منه، فقال له السيد: لو لم يكن خروجك لهذا الأمر، إلا قصد الحق لسلبت، ومع ذلك صار لك اعتناء باعتنائك بالشرع، مع إني لم أكن تاركا لهما، بل أصليهما بزاويتي وبيتي. فطلب من السيد أن يكون خادما له ويتجرد عن حاله، فقال له: ابق على حالك وأتم نفعك العام.

وكان حسن الخلق والخلق، مربوع إلى القصر أقرب، مدور الوجه واللحية، أصفر يغلب عليه البياض والحمرة، كث اللحية لما توفي أبيّض جميعها، كثير الأمراض والعلل، حسن النفس.

وله كرامات، منها كان يوم يعمل في فلج سيل، والحال أن المطر منقطة مدة طويلة، فقال له بعض الحاضرين: ما تريد بهذا التعب بلا نتيجة؟، فقال له: تريد أن ترى الماء فيه، فقال: نعم، فمكث مدة يسيرة في ذلك اليوم، فجاءت المطر وسال الماء فيه.

ومنها أن كان له جار يسمى الشريف جعفر بن سعيد، وكان له أخ محبٌ للسيد كثيرًا اسمه السيد عبد الله بن سعيد، فكان يعالج السيد في وصول أخيه جعفر إليه، فكان يقول له السيد: لا خير في ذلك، وهو يكثر عليه، فأذن له في وصوله، فلما وصل إلى السيد، والحال كان للسيد جعفر ديوان بناه على طرف العين بالسلامة، وصار فيه كشف على العين، وهو مورد للرجال والنساء، فقال السيد للشريف جعفر: لو تركت هذا الديوان وبنيت داخل الدار ديوان آخر، لأن العين تجمع السفهاء، ويكثر فيها اللفظ والسفه، فأجاب الشريف بقوله: ولي أذن عن الفحشاء صماء، فكان السيد مضطجع فقام وقال له: أما نحن فأذننا مفتحة للفحشاء، وإن كانت أذنك عنها صماء، قال الشريف جعفر: مِلكي ومُلكي من ينازعني، فأنزعج السيد كثيرا، وقال للشريف جعفر: قم البعيد يرضى بالعمى ولا يرضى بهذا الديوان، فخرج مغضبا فرده أخوه السيد عبد الله وقال له: لا تخرج مع غضب السيد، فقال الشريف: الأمر الذي يطلب على مساعد وعليك ما يطلب عليّ، وأرسل إلى كاتب كان يكتب عند السيد، وقال: لا تذهب إلى صلاة الجمعة بل أتني، وكتب طراز الديوان، فأتى الكاتب إلى السيد فقال له: اذهب إلى صلاة الجمعة واتركه وما يصير لك شيء، فذهب الشريف جعفر إلى الصلاة فأصابه داء عظيم، وما رجع إلا محمول

على سرير، فأرسل إلى السيد وطلب العفو، وأن يهدم الديوان ويصير من جملة الخدام، فما أجابه السيد إلا: هذه صكة ما بعدها فكة، ففي ثالث يوم قضى الله عليه.

ومنها أن جار له كان شرير اسمه الشريف مبارك بن حازم، كان عنده عبد قد أخطأ عليه بزعمه، فضربه ضربا شديدا، وتوعده بالقتل، فجاء ودخل على السيد، فأرسل له فجاء، فقال: بعد وصوله إليكم لو يكن قاتل أبي لم يصر له خلاف، فصدقه والعبد يقول: لا تصدقه، فقال له: لو صار لك أمرا اقتضينا منه، فبعد ثالث وجد العبد مقتول مزروب بالحبل، فبلغ السيد فقال: النفس بالنفس، فتوعك ذلك الشريف واضطرب، فصار يطلب العذر وما يجيبه السيد إلا بذلك، حتى عجل الله هلاكه بعد ثالث.

ومنها أنه كان له خادم اسمه فاضل، أخذه في طريق الطائف شخص يقال له الشريف عبد المعين الشنبري، وما عدى في عمره هذه العدوة، فطلب السيد أن يرد عليه جميع ما أخذه، وإن بقي منه شيء يحرق داره عليه، فرد جميع ما أخذه إلا شيء قليل من التل عند الحريم لم يشعر به، فلما كان في ثاني يوم بعد الظهر ثارت نار عظيمة وحرقت البيت وما فيه، فبعد ذلك تذكّر التل فرجع إلى السيد واعتذر، فسكنت النار حالاً، بعد أن عجز الكل، فأخذ في طفيها.

ومنها ما وقع بعد وفاته، وهما لما جاءت الفئة الخاسرة مع المضايفي، وأرادوا حرق تابوته، فلم يقدر بعد ما وضعوه فيه البارود الكثير والحلغى، فكسروه وحفروا قبره، فخرجت منه رائحة عطرة، وما ذهبت حتى دفن عليه زوجته.

ومنها أن دخل محب له اسمه الشيخ محمد سنبل وهو في غاية الجوع، فأنزل له في صحن حق رز، لما رآه حقره، فجاء عليه اثنان ثم اثنان ثم اثنان، حتى كانوا اثنى عشر فشبعوا جميعا منه، والرز على حاله، فقال الشيخ محمد المذكور: الآن والله تحقق عندي أن هذا سر من أسراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد ذلك ذكر كل من الواصلين أنه كان به شدة من الجوع والآن ضده.

ومنها أن شيخنا العلامة الشيخ محمد طاهر طلع الطائف، بقصد لقراءة البخاري على السيد، فرآة في نومه أنه قرأه، فلما أصبح وخرج واجهه مولانا السيد حسن البار، وقال له فجأة: يا طاهر كفتك القراءة التي قرأتها البارحة على السيد فلا تطلبها.

ومنها كتاب مولانا عبد الله الشبراوي، وهو أن كتب له كتابا فيه عتابا وزجرا عن بعض أمور كانت تصير من مع بعض أتباعه، كتبه وأسلمه لحضرة سيدي محمد الجوهري الكبير مع أبناء الشيخ محمد والشيخ فتوحة، فلما قربوا مصر قال لهم أبوهم: كيف نعمل بكتاب

السيد للشيخ، فلا شك يقول الشيخ: ما كان سبب هذا الكتاب وما فيه من الملام إلا بسببكم، فيحصل لنا ضرر من الشيخ عظيم، وكان رئيس مصر، فما يسعنا الآن نخفيه، ولوم السيد ألطف من عقاب الشيخ، فوضعوه في آخر ... لم يمكن أن يصل إليها غيرهم، فلما وصلوا إلى مصر ذهبوا إلى الشيخ، فأخرج لهم الكتاب ويقول وهو باكي: انظروا في هذه النصيحة والإرشاد، وهنيئا لكم باجتماعكم بالسيد، فلما خرجوا صار كل واحد يقول للآخر: كيف كان وصول هذا الكتاب إلى الشيخ؟، إما كرامة منه أو من الشيخ، أو من الكل لا نكير.

ومن أعظمها استقامة ظاهره وباطنه ومدده واستمداده، حتى أنه كان يقصد البلدان البعاد ويحصل لقاصده ما أراد، حتى كان يقول:

أيقصد معدم مثلي بشيء وأنت الله مقصود الوجود
فإن قصدوا فما المقصد إلا جناب يد تطول بكل جود

أي هو الله المقصود حقيقة، لأن كل ما يبرز في الكون ويظهر من الكرامات أو غيرها فعله جل شأنه، يكرم به ذلك العبد، لا فعل العبد، بل من اعتقد أنه فعل العبد فهو ضال، فيكون وجودها في الحياة والممات على حد واحد، ويقول:

اقتضت حكمة الحكيم أن من جاءنا سليم
يرتجي نيل مقصد يعطيه السيد الكريم

وكان له غاية البركة والترتيب في سائر أمره، لأن من نظر إلى ما يصل له من أمر الدنيا يقول: ما يكفيه لشهر مع التقتير، مع أنه يقيم به سائر السنة في غاية البسط، ويكرم منه غاية الإكرام، فكانت هذه البركة تعم أبناءه إلى الآن، فالشكر لله المنان، فيا له من عجيب في متابعة جده.

وإنجاحًا في تأثير زجره ووعظه ففي بعض الأحيان يتأسد وبعضها يتلطف بحسب المقام، فللّه من دره من حكيم، وكم وكم عمه بالمكارم والفيض العميم، وهذا نزر من بعض شؤونه وكراماته، ولو أراد المطيل جمع جميع ذلك تقصر عنان بنانه عن إحصاء ما هنالك، لأن ذلك فيض الكريم، ولا يمكن أن يقوم به مقيم، بل الباري يخص من يشاء بما شاء في أي زمن شاء، وكم ترك المتقدم من فيض للمتأخر، ولا غرو في إبراز جوهرة في الكون، ودرة لا يحيط بها الكون.

رزقنا اللّه مدده بلا عد، وادخلنا والسامعين في شفاعته يوم لا نسب ولا مدد، واسبل علينا وعلى الحاضرين الأمن والغفران، وجعلنا من أتباع سيد ولد عدنان، إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، خاب من قصد سواك، ورجي من الرضا غير رضاك، اللّهم بجاه حبيبك الأعظم وصفيك الأكرم أن تعاملنا بالغفران، وتقربنا من الجنان، وتنجينا من

النيران، يا حنان يا منان، نسألك أن ترزقنا الغنى مع البقاء، والنظر إليك مع الاعتناء، ونسألك أن تهدي ولاتنا إلى الصواب، وتسد عنهم من الشر كل باب، ونسأل تغزير الأمطار، والرخاء العام في سائر الأقطار، يا كريم يا مدرار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.